أوربا والاسلام

اللورد هيدلى

للدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

أما اللورد هيدلى ، فقد كان لاسلامه ضجة كبيرة : لمركزه ، ولما يعلمه فيه عارفوه : من نضج فى التفكير ، وترو فى الامور ، وحينمـــا أراد الحج مر بالاسكندرية ، فأقام له أهالى الثغر حفلة كبرى ، وضعت تحت رعاية الامير السابق : عمر الطوسونى ، الذى ألقى كلمة حيا فيها الضـــيف الكريم ، ابتدأها بقوله :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ، لقد خفت مصر الى اســتقبالكم ، وابتهجت بمقدمكم الكريم ، أويكون لكم متسع سرورها بذلك عظيما ، حتى لقد تمنت كل مدينة أن تسعى بأهلها اليكم ، أو يكون لكم متسع من الوقت بزيارتها ، فتقوم بما يجب لكم من الاجلال والاعظام ، والترحيب والاكرام ·

وكانت الحفلة برئاسة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الغنى محمود شيخ علماء الاسكندرية ·

وممن خطبوا فيها : فضيلة الشيخ أمين سرور ، فقال فى قصيدة طويلة مخاطبا اللورد هيدلى :

عرفت طريـق الحـق بعـــد اختبـــاره
فأوردت عن عقـل وأصـدرت عن فضـل

فمـــا أنس لا أنس انطـــلاقك واحـــدا
الى الشرق قبلـو كل دين وتســـــتجلى

فأرســـلت فى الأديـان نظـــرة ناقـد
يرود مكـــان الحـــق بالأعـين النجـــل

وكان كمـــال الـدين أكبـــر ســـاعد
يعـين عـــلى حق وينطـق عن فضـــل

فأبصرت دينـــا ماحيـــا كل مدنيـــة
كما نسخت شـمس الضـحى آية الليـل

فأســـلمت للـــرحمن تبغى ثـوابه
ولم تخش أنصـــار السـفاهة والجهـــل

ففـــاهو بمـــا فاهـــوا ، ولاموا وعنفـــوا
ولـكن ســـيف الحـق أمضى من العـذل

وجادلت بالحســـنى فلمـــا حججتهـم
تـولوا كأسراب القطـــاريع بالنبـــل

وتوالى الخطباء مشيدين بفضله .

كيف أسلم اللورد هيـــدلى ؟! ماهى العـــوامل التى دعته الى اعتنـاق الاسلام ؟! .

اننا فى الصفحات التالية سنذكر جملة من النصـــوص ترشد القارىء الى سبب رفضه المسيحية والى سبب اســـلامه ، والى تصويره لكثير من وجهات النظر الاسلامية .

ويقول :

« عندما كنت أقضى ـ أنا نفسى ـ الزمن الطويل من حياتى الاولى فى جو المسيحية ، كنت أشعر دائما أن الـدين الاســـلامى : به الحســـن ، والسهولة ، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت !!! ..

وثبتنى فى هذا الاعتقاد : زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك ، ودراستى للقرآن المجيد . »

له الله لكم تألم وقاسى فى سبيل وصوله الى الحق :

اسمع اليه يقول :

« فكرت وصليت أربعين سنة ، كى أصل الى حل صحيح » .

ويجب على أن أعترف أيضا أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراما عظيمـا للدين المحمدى السلس الذى يجعل الانســان يعبد الله حقيقة طول مـــدة الحياة ، لا فى أيام الآحاد فقط .

ويرى أن الاسلام هو الدين العالمى حقا .

« أيمكن اذن ، أن يوجد دين يمكن العالم الانسانى من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى ، الذى هو فوق الجميع وامام الجميع ، بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك ؟ .. »

فكر لحظة ـ وذلك تفكير لازم لكمال البشر فى الحقيقة ـ انه اذا أصبح كل فرد فى الامبراطورية الانكليزية محمدياحقيقيا بقلبه وروحه لأصبحت ادارة الاحكام أسهل من ذلك ، لأن الناس سيقادون بدين حقيقى .

وها هو ذا يعبر عن الشكر حينما هداه الله

« روح : الشكر هى خلاصة الدين الاسلامى ، والابتهال أصل فى طلب القيادة والارشاد من الله .

انه وان كان شكرى لله على كرمه وعنايته ، كان متأصلا فى ، من صغرى وايام حداثتى الاأننى لا أستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة

الماضية ، التى قرع فيها الدين الاسلامى لبى حقا ، وتملك رشدى صدقا ، وأقنعنى نقاؤه ، وأصبح حقيقة راسخة فى عقلى وفؤادى ، اذ التقيت بسعادة وطمأنينة ، ما رأيتهما قط من قبل كما استنشق هواء البحر الخالص النقى ، وبتحققى من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده ، أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم الى فسيح من الارض تضيئه شمس النهار .

ومما يذكر من تعاليم الاسلام مشيدا به :

« ليس هناك فى الاسلام الا اله واحد نعبده ونتبعه ، انه امام الجميع ، وفوق الجميع ، وليس هناك قدوس آخر نشركه معه ، انه لمن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والالباب على هذا القدر من الغباوة ، فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء ورؤية أبيهم القهار المتصل دواما بكل مخلوقاته ، سواء كانوا عاديين أو أولياء مقدسين .

مفتاح السماء موجود دائما فى مكانه ، ويمكن ادارته بأذل وأقل المخلوقات دون أية مساعدة من نبى أو كاهن أو ملك ، انه كالهواء الذى نستنشقه مجانا لكل خلق الله .

أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك ، ما دعاهم الى هذا العمل الا حب الفائدة .

ليس غرضى الرئيسى أن أهاجم أى فرع معين من فروع الديانة المسيحية ، لأبين جلال وسلاسة الديانة الاسلامية ، التى هى خالية فى نظر الكاتب المنصف من العوائق الظاهرة جليا فى كثير من الديانات الاخرى .. »

ولقد افترى خلق كثير على الاسلام وها هو ذا يرد على افتراءاتهم .

« ليس فى وسع الانسان ، فى الحقيقة ، الا أن يعتقد أن مدبجى وناسجى هذه الافتراءات ، لم يتعلموا ، حتى ولا أول مبادىء دينهم ، والا لما استطاعوا أن ينشروا فى جميع أنحاء العالم ، تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق .

ان تعاليم القرآن الكريم : قد نفذت ومورست فى حياة محمد الذى - سواء فى أيام تحمله الألم والاضطهاد ، أو فى زمن انتصاره ونجاحه - أظهر أشرف الصفات الخلقية التى لايتسنى لمخلوق آخر اظهارها .

فكل صفات الصبر والثبات فى عصره كانت ترى أثناء الثلاثة عشرة سنة التى تألها فى مجاهداته الاولى بمكة ، ولم يشعر فى كل زمن هذا الجهاد بأى تزعزع فى ثقته بالله ، وأتم كل واجباته بشمم وحمية .

كان ؟ صلى الله عليه وسلم ، مثابرا ، ولا يخشى أعداءه ، لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله ، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه .

وقد أثارت تلك الشجاعة التى لا تعرف الجفول - تلك الشجاعة التى كانت حقا احدى مميزاته وأوصافه العظيمة - اعجاب واحترام الكافرين ، وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله .. ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا ، وازداد اعجابنا به بعد ذلك فى حياته الاخيرة ، أيام انتصاره بالمدينة ، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام ، واستطاعته الاخذ بالثأر ولم يفعل ، بل عفا عن كل أعدائه .

العفو والاحسان والشجاعة ، ومثل هاتيك الصفات ، كانت ترى منه فى كل تلك المدة ، حتى وان عددا عظيما من الكافرين اهتدوا الى الاسلام عند رؤية ذلك .

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه ، آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة ، وأغنى فقراءهم وعفا عن ألد أعدائه ، عندما كانت حياتهم فى قبضة يده وتحت رحمته !!! ..

تلك الاخلاق الربانية التى أظهرها النبى الكريم : أقنعت العرب بأن حائزها يجب أن لايكون الا من عند الله ، وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقا ، وكراهيتهم المتأصلة فى نفوسهم : حولتها تلك الاخلاق الشريفة الى محبة وصداقة متينة !! ..

محمد المثل الكامل ..

« نحن نعتبر أن نبى بلاد العرب الكريم ، ذو أخلاق متينة ، وشخصية حقيقية ، وزنت واختبرت فى كل خطوة من خطى حياته ، ولم ير فيها أقل نقص أبدا .

وبما أننا فى احتياج الى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة فحياة النبى المقدس تسد تلك الحاجة .

حياة محمد : كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقى ، والسخاء والكرم ، والشجاعة والاقدام ، والصبر والحلم ، والوداعة والعفو ، وباقى الاخلاق الجوهرية التى تكون الانسانية .

ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة ، خذ أى وجه من وجوه الآداب وأنت تتأكد بأنك تجده موضحا فى احدى حوادث حياته .

ومحمد وصل الى أعظم قوة ، وأتى اليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لاتجارى ، وكان ذلك سببا فى هدايتهم ونقائهم فى الحياة !!! ..

رحم الله اللورد هيدلى وجزاه عن الاسلام خير الجزاء ..

« **عبد الحليم محمود** »

* * *